# الطب الشعبي والطب الحديث من منظور نفسي اجتماعي

الدكتور: عادل قايد، جامعة تيارت، الجزائر

الدكتورة: عبيدة صبطي، جامعة بسكرة، الجزائر

**الملخص:**

يتناول البحث الطب الشعبي والطب الحديث اللذين يمثلان في الوقت الحاضر طرفين مهمين في أرض الواقع في المجال الصحي والعلاجي فلكل منهما أهميته الاجتماعية وأسلوبه العلاجي وطرائقه التي يرتكز عليها ويتبعها في علاج الأمراض والإصابات، لهذا سنحاول إيجاد المسافات التي تفصل بينهما والحدود التي تجمعها معًا، وهل أن للطب الشعبي مستقبلاً سيشهد تقدمًا أم تراجعًا أم إقبالاً عالميًا؟.

## Abstract :

This article deals with traditional medicine and modern medicine that represent at present the parties are important in the soil in the area of health and therapeutic everyone has a social meaning and style and therapeutic modalities on which followed in the treatment of diseases and injuries. For this, we will try to find the distances between them and the border met, whether that of traditional medicine in the future will see the progress or decline or universally popular?

**مقدّمة:**

تعيش المجتمعات اليوم في حالة من التطور والتقدم التكنولوجي الذي إنعكس على جميع ميادين الحياة الاجتماعية، والذي ترك عليها العديد من التأثيرات وأجرى العديد من التغييرات ولكنه لم يحدث تغييرات جذرية مع كل هذا التطور والتقدم. وإن كان الأمر متعلق ببعض ميادين الحياة وجوانبها ولعل الميدان الطبي هو أهمها لما له من علاقة قوية بالمحافظة على صحة الأفراد في المجتمع.

حيث تطور مفهوم الصحة كما تطور مفهوم المرض والكشف عن أسبابه من فترة تاريخية لأخرى، هذا ما أدى إلي زيادة الكشف عن الأساليب العلاجية للمرض نظرا لتراكم الدراسات وتنافسها للوصول إلى الحل الأنسب والأسهل للتخلص من الأمراض أو الوقاية منها، وصاحب هذا التطور لمجالات الصحة والمرض والعلاج تنوع في المعارف والتصورات الخاصة بالصحة والمرض والعلاج، فاتسعت بوتقة المعرفة الخاصة بفهم المرض من حيث نوعه وأسبابه وأعراضه، بين المعتقدات والتصورات القديمة والحديثة، بين التوجه العلماني والطرح الديني للمرض، وبين العلاج الشعبي والتقني الحديث... مما صعب على الشخص عملية الفهم والإدراك للأساليب الناجعة لمواجهة المرض.

**1. مشكلة البحث**

لقد أثبتت الدراسات الحديثة في الطب الشعبي أن الصراع بينه وبين الطب الحديث صراع متواصل، على الرغم من المنجزات العلمية والتكنولوجية التي يحققها الطب الحديث، فهناك مشتركات بين الطب الشعبي والطب العلمي. لقد اشارت منظمة الصحة العالمية (WHO) إلى أن 65 ٪- 80 ٪ من سكان العالم يعتمدون على الطب البديل شكلا أساسيا للرعاية الصحية، وهناك من يرى أن الطب البديل هو طب المستقبل بينما يرى أخرون أنه ليس طبا، وبالتالي لا يصلح أن يكون بديلا وأن المسألة لا تعدو كونها خلطا للأوراق[1].

وسنحاول في بحثنا الموسوم **بالطب الشعبي والطب الحديث إيجاد** المسافات التي تفصل بينهما والحدود التي تجمعها معا .

2.**هدف البحث**

- ✓ محاولة تحليل العلاقة بين النسق الطبي العلمي الحديث والنسق الطبي الشعبي.

3.**تحديد المفاهيم**

يعد الطب من الأمور المهمة التي تلقى اهتماما خاصا من أفراد المجتمع كونه الطريقة الوحيدة للحفاظ على الحياة بالقضاء على مسببات الموت. وتمتاز المهنة الطبية بنبلها وشرفها لأنها تتعامل مع الإنسان مباشرة وتسعى إلى وصف ما يحتاج إليه من غذاء ودواء ونصيحة وقد مر الطب بمراحل وحقب متوالية ومتداخلة فيما بينها إلى أن وصل إلينا اليوم بصورته الحالية التي تتخذ وتتواجد بشكلين مهمين هما: **الطب الشعبي والطب الحديث.** وقبل بيان ما يعنيه الطب مفهوما واصطلاحا لابد من توضيح بعض مسميات نوعي الطب (موضوع البحث).

فالطب الشعبي له مسميات عديدة منها (الطب التقليدي) على أساس قدمه وطرائقه العلاجية التقليدية أو القديمة، كما اطلقت عليه تسمية (الطب البديل) حيث أن بعض طرائقه العلاجية ذات فائدة وأهمية ترجع امكانية حلولها محل الطب الحديث، أما تسمية طب العرب فقد جاءت من الشهرة التي كان العرب وبخاصة سكان القرى غالبا ما يتمتعون بها في مجال التطبيب والعلاج الشعبي، وعلى أساس أنه مرحلة مكملة إلى جانب الطب الحديث أطلقت عليه تسمية (الطب التكميلي أو الاستكمالي) كل هذه التسميات تشير في النهاية إلى الطب الشعبي الذي ينقسم اليوم بصورته الرئيسية على ثلاثة أقسام هي الطب الشعبي الديني أو الروحاني، الطب الشعبي الدوائي، والطب الشعبي الجراحي[(2)].

كما أن **للطب الشعبي** مسمياته فللطب الحديث مسمياته كذلك، فقد سمي الطب الحديث **بالطب العلمي** كونه يعتمد على الأجهزة الطبية العلمية الحديثة التي أنتجتها التكنولوجيا، وأطلق عليه كذلك تسمية **الطب الأكاديمي** حيث أن يتبع طرائق علمية مدروسة في علاج الأمراض والإصابات، ولحداثة طرائقه العلاجية وظهورها بصورتها الحالية أطلقت عليه تسمية (الطب الحديث) [3].

**أ. تعريف الطب الشعبي**

**الطب الشعبي** هو مجموعة من المعتقدات الشعبية و الممارسات العلاجية التي استخدمت منذ أزمان بعيدة في كل الثقافات القديمة لمعالجة الأمراض بواسطة مجموعة من الأشخاص ممن يعتقدون أنهم يملكون القدرة على معالجة الناس، ويعد نظاما غير رسمي في البناء الصحي، على الرغم من أنه قد يتم تدريب المختصين فيه في مراكز تدريب مهنيه رسمية، ويمارس بواسطة ممارسين من خارج المؤسسات الطبية الرسمية، وتكون وسائله إما وسائل جيدة مستمدة من موروثات سامية قديمة، أو قد تكون وسائل علاجية رديئة كالتي تعالج بها المجتمعات البدائية نفسها، بدلا من العناية الطبية المدربة[4].

أما (سوليبيان) فيرى بأن **الطب الشعبي** يتعلق بالمعتقدات والتقاليد والممارسات الخرافية حول أمراض الإنسان وكيفية الشفاء منها بالاعتماد على الأشخاص التقليديين الذين يقومون بالعلاج، ولا يجب أن ننظر إلى الأشياء على أنها قديمة أو غريبة، ولكن ندرسها من موقف افتراضي هو أن كلاهما ارتكز على أساس معين في وقت ما[5] .

كما تنظر منظمة االصحة العالمية (WHO) إلى الطب الشعبي على أنه شكل من أشكال الطب التقليدي، و تعرفه أنه يشير إلى الطرق والوسائل التي وجدت قبل ظهور الطب العلمي الحديث. أما الجمعية الطبية الأمريكية (American Medical Society ) . فقد عرفت الطب الشعبي على أنه مصطلح

كثيرا ما يستخدم في المراجع العلمية بالتبادل مع مصطلح الطب البديل (Alternative Médicine)ومصطلح الطب المكمل.

يحفظ الطب الشعبي بين الشعوب البدائية ويتناقل بالتراث الشفهي، بوصفه جزء من التقاليد الاجتماعية والأدب الشعبي. ومن أنواعه الرقية، التعاويذ، الكمادات، والحجامة، واستعمال دودة العلق، والكي، والتدليك، كما عرفت الجراحة منذ ألاف السنين وتقتصر على التجبير، وتتكون الأدوية المحلية في الأغلب، من أشربة ومراهم محضرة من الأعشاب والبذور[6].

وانطلاقا مما سبق نستنتج بأن الطب الشعبي هو إستعمال الأساليب التقليدية لعلاج مختلف الأمراض.مثل إستعمال الأعشاب الطبيعية وبعض الممارسات مثل الكي و الحجامة وهو مرتبط ببعض الأفكار والتصورات المتوارثة اجتماعيا حول الصحة والمرض.

**ب.الطب الحديث**

ونعني به المدخل الذي يفسر تلك العلاقة الجدلية من خلال نظرة آلية يعزل فيها مفهومي الصحة والمرض عن الشخص المريض ومحيطه الاجتماعي والثقافي، ويعتمد أساسا على الرصيد والمخزون التجريبي للأدوية والعقاقير الكيميائية غالبا في مواجهة المرض، ما يفقد تلك النظرة في كثير من الأحيان جوانبها الحسية وعمق مشاعرها الاجتماعية والإنسانية وخلفياتها الثقافية المتصلة بالنظرة للصحة والمرض؛ وتتضمن هذه الممارسة مجموعة الأدوار النظامية التي تطبق العلم الطبي على مشكلات الصحة والمرض والتحكم في المرض نفسه، كما تضم تخصصات متعددة تضطلع بتقديم الخدمات الصحية كالتخصصات الطبية الدقيقة (طب الأسنان، والتمريضّ، والخدمات المعاونة كالأشعة والتحليل...)، وهي تخضع لمتغيرات النمط كالإنجاز والعمومية والتخصص الوظيفي والحياد الوجداني الذي حددها "بارسونز"[7].

فالطب يوجد في نقطة تلاقي العلم والتقنية، كما يشرح ذلك مؤرخ الطب (جون ستاروبينسكي) الطب الذي يستند على أسس علمية وتقنية في علاج المرض، وهو حصيلة التقدم العلمي، ويجتاز الطبيب خلال عملية التعلم الطبي مرحلة تعليمية وتثقيفية يكتسب بواسطتها وجهة النظر بالنسبة للمرض، ويعتمد في فروضه على العقلانية العلمية أن الطب الحديث موجه بالدرجة الأولى نحو استنتاج وقياس المعلومات الكيميائية والفيزيائية عن المريض بدلا من العوامل الوجدانية والاجتماعية، وهو رديف العلوم الطبيعية الأخرى كالفيزياء والكيمياء والبيولوجي والتكنولوجي، ويتطور بتطورها [8].

وعليه يمكن أن نعرفه على أنه العلم الذي يدرس أسباب وآثار الأمراض على حيوية وفاعلية جسم الإنسان ويدرس طرق وتقنيات علاجها والتحرر من آثارها السلبية [9].

فالطب الحديث إذن هو إستعمال الأساليب العلمية الحديثة في علاج مختلف الأمراض.وقد ظهر نتيجة تطور البحوث العلمية في مجال الطب.والمعالج في الطب الحديث هو شخص يخضع لتكوين أكاديمي نظري وتطبيقي يؤهله لممارسة مهنة الطب.

### 1. الجذور التاريخة للطب الشعبي

يعد الطب من أقدم المعارف التي سعى إليها الإنسان ولا شك في أن أول صرخة ألم انطلقت من غضون الغابات وظلمات الكهوف كانت نداء إلى طبيب، وقد اختلف المؤرخون والباحثون والعلماء في تحديد بدايات نشوء الطب، فيرى فريق منهم أنه قديم قدم البشرية وينادي أخرون بحداثته كما يختلفون في تحديد أول من أسس علم الطب ومن الذي أوجده وكل يعزوه إلى بني جنسه، ويعد ذلك انعكاسا لاختلافهم في تحديد نقاط بدايات الاكتشافات الطبية والعمق الزمني للظاهرة (موضوع البحث)، إلا ان اغلبهم ينوه إلى أن جميع وسائل وأساليب العلاج البدائي مستمدة من المحاولات المتكررة عن طريق التجربة والخطأ

والاعتماد على الخبرة في التركيز على التجارب العلاجية الناتجة عن هذه المحاولات في الحالات المرضية المتشابهة[10] .

وعليه نجد أن الطب البدائي يعد المصدر الأول الشعبي و الذي كان يعتمد أساسا على **الدين والسحر** كما كان يتضمن أيضا استخداما للأعشاب الطبية والمنتجات المعدنية وإن كانت الأمراض تعالج بواسطة(الشامان) الكاهن أو الطبيب الساحر أو بواسطة بعض الممارسين الشعبين الآخرين الذين لديهم القدرة على طرد الأرواح الشريرة. لذا يرى الباحثون أن الطب البدائي هو طب سحري ويؤكد( جيمس دافيز games davis ) أن التطبيب و الدين ارتباطا معا، وعندما عزا الفرد الأمراض للأرواح كان **السحر** هو الشكل المناسب لضبطها والتحكم فيها. وسيطر هذا الاتجاه على المدينة الغربية إلى أن أوجد اليونانيون والتفسير الطبيعي للأمراض، وتوضح الدراسات الحديثة أن أصول الطب القديم ترجع إلى معلومات دينية وطب وخرافات امتزجت معا وكونت الطب الديني، والطب الحقيقي، وهذا يؤكد أن المعرفة الطبية الشعبية كانت منتشرة بدرجة كبيرة بين الحضارات القديمة خاصة في مصر الفرعونية، ثم تتابعت مراحل تطورها خلال النهضة الاغريقية[11] .

وخلال الفتوحات الإسلامية لمصر وبلاد مابين النهرين وبلاد فارس، تأسست المدرسة الطبية الإسلامية في المشرق أواخر القرن التاسع وحتى منتصف القرن الثالث عشر و التي اشتهرت بأسماء علماء أمثال (الرازي وابن سينا وابن النفيس والأنطاكي) وتبعتها المدرسة الإسلامية في بلاد المغرب من أمثال (الزهراوي وابن زهر وابن رشد)، وازداد الطب العربي الاسلامي ازدهارا أيام العباسين وأيام الحضارة العربية في الأندلس، ومن السمات الواضحة في الطب الاسلامي تحرره من مفاهيم السحر والجان وسيادة الجانب الروحي على ممارساته واحتوائه على جوانب شعبية وأخرى علمية [12] .

وفي بداية القرن التاسع عشر ومع ازدهار علم الكيمياء أصبح باستطاعته تحليل الأعشاب ومعرفة المواد الفعالة فيها واستخراجها أو معرفة تركيبها

الكيمياوي، وبهذا الانجاز العلمي، انتقل التداوي من الاعشاب مباشرة إلى التداوي بالمساحيق والأقراص والأشربة المستخلصة من الأجزاء الفعالة من الأعشاب ومن المواد الكيمياوية وغير العضوية[13]. بعد ذلك مر الطب بمراحل وحقب كما نوهنا، تلونت في إحدى مراحلها بالسحر والشعوذة والطقوس العقائدية المختلفة، وفي مرحلة لاحقة بالدين والأدعية والتلاوات الدينية، حتى وصل عبر مراحل التفكير الإنساني إلى ما هو عليه اليوم بالزي المعاصر للطب الشعبي. [14].

### 3. بين الطب الشعبي والطب الحديث

يهدف كل من الطب الشعبي والطب الحديث إلى وقاية جسم الإنسان من الأمراض قبل وقوعها وذلك من خلال عملية النصح والإرشاد التي تتمظهر في مجال الطب الحديث في حملات التوعية والندوات الصحية حول العادات السليمة التي ينبغي أن يتبعها الفرد في حياته حتى لا يصاب بالمرض، وذلك بالتركيز على الغذاء السليم، كما يهدف إلى علاج الأمراض أثناء حدوثها، أما في الطب الشعبي فتظهر في النصح والإرشاد الذي تقدمه الأم أو كبار السن للمريض حتى يتعافى من مرضه من خلال تقديم بعض الأكلات أو الأعشاب المفيدة لصحته[15].

كما يستخدم كل من الطب الشعبي والطب الحديث النباتات والأعشاب الموجودة في الطبيعة والتي ثبتت نجاعتها وفعاليتها في التخفيف من حدة الأمراض أو علاجها بشكل كلي، والاختلاف بينهما يكمن في طريقة إعدادها لتكون صالحة للعملية العلاجية.

ويتفق كل من النسقين الطب الشعبي والحديث حول مفهوم البرودة المسببة للمرض إذ نجد الكثير من أفراد المجتمع يعتقدون أن بعض الأمراض يكون سببها تعرض الإنسان للبرد، وتتعدد أنواع الأمراض التي يكون سببها البرد في كل

المعتقدات كالتهاب المفاصل، كذلك الملابس غير الملائمة لحالة الطقس والنظام الغذائي غير المتوازن وغيرها تعد أسبابا فاعلة في الإصابة بالبرد.

كما يعتمد الطب الحديث على بعض الوسائل والأساليب العلاجية القديمة والتي استخدمت في عصور وحضارات قديمة كالحضارة الصينية التي اعتمدت على الإبر كأحد أهم الوسائل العلاجية ونشير هنا أن هذه الممارسة تحتاج نوعا من الخبرة والتدريب، وقد كانت محل العديد من الأبحاث والدراسات من قبل منظمة الصحة العالمية، الأمر الذي جعلها ترسل بعثات لاختبار مدى فعالية هذه الممارسة وضرورتها للعلاج، إن هذا الاهتمام سهل من عملية انتشارها من قبل أطباء يعالجون بهذه الطريقة التي تعالج عددا من الأمراض كالربو، والجيوب الأنفية، كما وتعالج القولون والروماتيزم والسمنة وغيرها من الأمراض.

فضلا عن العلاج بالقوة المغناطيسية الذاتية: أو ما يعرف بالقوة الحيوية الشخصية، وهي ذات منشأ ديني وتسمى (برانا) وتعالج هذه الطريقة أمراض المعدة والأمعاء، والضعف العام، والأعصاب، وذلك من خلال وضع المعالج يده على مكان الداء أو الألم لمدة معينة فيحدث الشفاء، " ويفسر العلماء ذلك بأن المعالج يرسل بعضا من فيض قواه الحيوية إلى الجزء المعتل بتوجيهها بقوة إرادته، فيقوى الجزء المريض ويعود إلى حالته الطبيعية.

وفي الوقت الحاضر يقوم عدد كبير من الخبراء في المجال الطبي على المستوى العالمي بمحاولات نشيطة لدمج الطب الصيني التقليدي مع الممارسات الطبية العلمية الحديثة، مثال على ذلك العلاج بالوخز بالإبر الصينية والعلاج الاستبطاني، كما نجد أيضا توجها لدراسة الطب النبوي وتطبيق العديد من أساليبه العلاجية في عدد من المستشفيات العالمية كالعلاج بالحجامة، ناهيك عن العلاج ببعض الأعشاب كالعلاج بـ الداتورا DATORA، والكوكا COCA، **والكينا**CINCHONA، والصبار والساجرادا وغيرها، والتي يجري تصنيعها حاليا

كمستحضرات دوائية يتم وصفها من قبل الأطباء كدواء الراؤوليفيا الذي يوصف كعلاج لضغط الدم.

وفي العصور القديمة كان يعتقد الناس أن المرض يحدث بسبب مخلوقات لا يمكن رؤيتها كالأرواح الشريرة والشياطين التي تدخل جسم الإنسان حينما يكون غير محصن، ونفس الشيء يقال الآن من أن المرض يحدث بسبب مخلوقات لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة تدخل الجسم البشري ويطلق عليها فيروسات وجراثيم.

وعليه يكتسب **الطب الشعبي** أهميته أيضا بوصفة أحد أشكال الطب البديل (Alternative Medicine) التي يشترك معها في العديد من السمات والخصائص التي تميزه عن الطب الحديث فهو يمارس منذ زمن بعيد مثل الطب التقليدي، وينظر الطب الشعبي إلى الجسم الإنساني ككل متكامل ليشمل الأبعاد الروحية والإجتماعية والعقلية والجسمية مثل الطب الكلي، وهي وثيق الصلة بحياة وثقافات جماعات معينة من الناس مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعة والمادة الطبيعية مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعة مثل الطب العرفي، وقد تعتمد أساليبه أيضا على قوانين الطبيعية مثل الطب الطبيعي،وعلى الرغم من أنه قد يكون لكل من هذه الأشكال الطبية سماتها وخصائصها الخاصة بها فهي تشترك مع الطب الشعبي في هذه الصفات البارزة وخصائصها الخاصة بها فهي تشترك مع الطب الشعبي في هذه الصفات البارزة التي تميزه عن الطب الحديث وتتخلص هذه السمات في[16] :

- تشترك هذه النظم في أن مفهوم الصحة بالنسبة للفرد هي السعادة في كل الجوانب الروحية والاجتماعية والعقلية والجسمية، بينما يتعامل الطب الحديث مع الجسم البشري كحالة، بمعنى أن تركيزه يقع على النواحي الفيزيقية من الحياة.
- يؤكد نظام الطب الشعبي في المحافظة على الصحة، وبالتالي أنماط حياة صحية، بمعنى أنها تؤكد على اتباع نظام تغذية مناسبة وممارسة التدريبات

الرياضية، وإقامة العلاقات الإنسانية والسلوكيات الإيجابية والبيئية النظيفة، وعلى القيم الروحية والأخلاقية.

- يعمل الطب الشعبي على تجنيب الجسم الإنساني تناول العقاقير الفعالة والصعبة، ومعاناة التشخيص والتدخل الجراحي غير الضروري حيث يعتمد على نباتات طبية تزرع في نفس البلد الذي يمارس فيه.

و هناك حقيقة معروفة عند كل الأطباء أن الإيمان والثقة غالبا ما تعالج المرض حينما يعجز الطب الحديث عن تقديم العلاج.

يتضح أن الإهتمام بدراسة **الطب الشعبي** ليس مجرد قضية علمية تستحق العناية ولكنها أيضا قضية مجتمعية تستحق التوقف عندها. ولفت النظر إليها، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الطب الشعبي أن الصراع متصل ولم يتوقف على الرغم من كل المنجزات العلمية التي يحققها الطب الحديث.

وتوجد مشتركات علاجية بين الطب الشعبي والطب الحديث، فهناك أعشاب متشابهة لتلك الأعشاب الطبية تستخدم عقاقيرا في الطب العلمي الحديث وهناك محاولات نشيطة لدمج الطب الصيني التقليدي مع الممارسات الطبية العلمية الحديثة، فهناك عددا من الأدوية الشعبية التي كانت تستخدم في الماضي، ويجري تصنيفها حاليا كمستحضرات دوائية نباتية، ويتم وصفها بمعرفة الأطباء[17].

**أما عن أوجه الاختلاف بين نسق الطب الشعبي والطب الحديث: فيمكن أن نوجزها في الآتي:**

فعند التدقيق في الأمر نرى أن الطب الشعبي بأنواعه ينظر إلى جسم الإنسان(human body ) على أنه وحدة متفاعلة لا مجال للفصل بين أي عضو من أعضائه، لكن الواقع المشاهد اليوم يؤكد أن الطب الحديث يفصل بين أعضاء الجسم من خلال كثرة تخصصاته إذ أصبح لكل عضو من أعضاء جسم الإنسان طبيبا خاصا يعالج فقط العضو المتضرر، وهذا بسبب التطور في مجال الطب

الإنساني، فلم يعد هدف معظم الأطباء الاهتمام بالمريض(patient) قدر اهتمامهم بالمرض(disease) [18].

كما يتضمن الطب الشعبي أنواعا من العلاج وهذا تبعا للتصنيفات التي صنف إليها حيث صنف إلى:

**أ. الطب السحري أو الغامض:**

ويرتبط هذا المفهوم بمرحلة تمر بها المجتمعات والثقافات يطلق عليها "مرحلة ما قبل العلمية"، ويسود فيها نوع من الطب الشعبي الاجتماعي، وتعتمد طرقه وأساليبه العلاجية على ممارسات السحر والشعوذة والغيبيات، مما أدى إلى ظهور مسميات محلية مثل الشامات، أو الطبيب الساحر والمعالجين الروحانيين، وغيرهم [19].

**ب. العلاج بواسطة طقوس الزار:**

يشير اصطلاح أو مفهوم الزار من خلال الشعائر والطقوس التي ارتبطت بممارسته، إلى أن هناك بعض الأرواح الشريرة تلتصق أو تتواجد مع بعض الأفراد، وتأخذ تلك الكائنات الغيبية بمسميات متعددة مثل "إبليس، والجن والشيطان، والعفريت" وهم خوارق غيبية تسبب الأمراض واعتلال صحة للأفراد تحت ظروف صحية ونفسية معينة يمرون بها في حياتهم، مما تتطلب حالتهم المرضية ضرورة علاجهم عن طريق إقامة حفلات الزار، ويمارس الزار" شيوخ الزار" وهم رجال أو نساء على السواء، حيث كان يطلق على الشخص المسلم القائم بطرد الأرواح الشريرة "اسم شيخ الزار".

بينما يطلق على رجل الدين المسيحي "كاهن الزار"، لهم مقدرة على الاتصال بالغيبيات، وهم يتمتعون بثقة الناس في وظائفهم التي يقومون بها، من أجل تخليص المرضى من تلك الأمراض المستعصية. يقدم فيها الأضحيات والقرابين لتلك الأرواح الشريرة، ولهذا كان النوبيون يقبلون على إقامة تلك الحفلات كأسلوب علاج لتخليص المرضى من الحالة النفسية المعتلة التي ألمت

بهم، ويخبر الشيخ أو الكاهن الأفراد الحاضرين بمدى استجابة الجن لطلباته من أهل أسرته كشروط التخلي عنه، وهذه الطلبات من الجن التي ينقلها بواسطة شيخ الزار كأن يرتدي المريض مثلا ملابس معينة ذات ألوان خاصة أثناء حفلة الزار الراقصة[20].

**ج. العلاج بواسطة زيارة الأولياء الصالحين:**

الأولياء في المعتقد الشعبي هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتفوق عادة ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاء، والأولياء في المعتقدات الشعبية لديهم كرامات، ويستطيعون ممارسات ألوان وأصناف عديدة من المعجزات من بينها: شفاء المرضى وتلبية دعوة من يلوذ به من الناس في أي أمر من الأمور[21]؛ ومن أشهر الأمراض التي من أجلها يذهب الناس إلى أضرحة الأولياء التماسا للشفاء، الحمى بأنواعها، العقم والأمراض الجلدية والأمراض العصبية والنفسية وأمراض العيون ..الخ[22]؛ هذا بالإضافة إلى تلبيته لحل المشاكل الاجتماعية المختلفة.

**د.الطب الشعبي الطبيعي«العلاج بالأعشاب والمواد الطبيعية الأخرى» :**

ويشتمل العلاج بالأعشاب إلى كل العناصر التي تتيحها الطبيعة من نباتات وحيوانات وكلها أشياء عادية قد تستخدم كما هي، أو تعالج على نحو معين قد يكون شديد التعقيد أحيانا، وليس من الضروري أن يستخدم العنصر النباتي أو الحيواني كله بل أن الأمر يقتصر كما هو الحال عند استخدام عنصر من حيوان ما، أو نوع من إفرازاته، إلا أن هذه العناصر النباتية أو الحيوانية لا تستخدم في الغالب كما هي بحالتها الطبيعية، وإنما يتطلب الأمر تقيدها بعدد من الظروف والقواعد أو الإجراءات الفنية مثلا القيد الزمني الذي يعمل على زيادة فاعلية الدواء وضمان تأثيره، كأن يكون قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها كذلك ألوان معينة، أو الكمية اللازمة المحددة ...وغيرها من الشروط[23].

**هـ. العلاج بواسطة عمليات الجراحة التقليدية:**

في حقيقة الأمر أن هذا النوع من العلاج متعدد الأنواع والنماذج وهذه النماذج من هذا العلاج بالذات تختلف باختلاف الثقافات، فالعمليات التي تعرف في المجتمعات العربية تختلف عنها في المجتمعات الهندية والصينية والأوروبية، فمثلا المجتمعات الأوروبية خاصة تعرف العمليات الجراحية الروحية التي لن نسمع عنها في مجتمعاتنا نحن.

كما أن هذا لا ينفي أن هناك نماذج مشتركة من الممارسات العلاجية بهذا النوع بين مختلف المجتمعات النامية، نذكر منها: مثلا العلاج بالإبر الصينية الذي شاع استخدامها في مختلف أنحاء العالم، والعلاج بالكي والخزم، والردم، وتجبير الكسور والحجامة بأنواعها، ...إلخ.

وقد أثبتت هذه العمليات جدارتها وجدواها في معالجة العديد من الأمراض مثل الصداع النصفي والربو الشعبي، وعرق النسا، وألام المفاصل والظهر، ونتيجة لازدياد المترددين عليها أخذ الأطباء العرب يتدربون عليها من قبل المتخصصين في الصين أو مناطق أخرى من العالم[24].

كما أن القائم بالعملية العلاجية في الطب الحديث معالج يطلق عليه اسم الطبيب وله شهادة معترف بها لمزاولة مهنته هذه مستخدما في ذلك أدوات ووسائل متطورة وأشعة وغيرها للفحص والعلاج، أما في الطب الشعبي فالأمر مختلف حيث نجد الشخص القائم بهذه العملية يطلق عليه عدة تسميات بحسب المنطقة التي وجد فيها فقد يطلق عليه الطبيب الشعبي كما يطلق عليه المعالج الشعبي، أو الطالب، الشامان وغيرها من التسميات النابعة من عمق البيئة السوسيوثقافية التي وجد فيها المعالج الشعبي، هذا الأخير الذي يعتمد على وسائل علاجية بسيطة متوفرة في البيئة المحلية والتي بإمكان المريض تحضيرها بنفسه كما أنه يعتمد بشكل كبير على الخبرة ووراثة الممارسات العلاجية ممن سبقوه من المعالجين[25].

كما يذهب العديد من الناس وخاصة في المجتمعات التي تستخدم الطب الشعبي بكثرة إلى عدم وجود أضرار جانبية من ممارسة الطب الشعبي مقارنة بالطب الحديث الذي قد يسبب إصابة مواطن أخرى من جسم الإنسان في الوقت الذي يتم فيه معالجة عضو ما،

وانطلاقا من نقاط التشابه والاختلاف بين **الطب الشعبي و الطب الحديث** سنحلل طبيعة العلاقة بين النسقين الطبي الحديث والشعبي بالاعتماد على ما توصلت له بعض الدراسات الميدانية من خلال الآتي:

**أ: اعتماد الطب الحديث على الطب الشعبي في بداية ظهوره وتكوينه:**

ونقصد بذلك هل فعلا اعتمد الطب الحديث على الطب الشعبي؟ وإذا كان كذلك فهل كان ذلك بشكل كلي أو جزئي أو بنسب ضئيلة؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقودنا إلى العودة إلى تاريخ الحضارات القديمة التي اعتمدت على الطبيعة بكل موجوداتها لتحقيق الصحة والقضاء على المرض كاستخدامها للأعشاب والنباتات الطبيعية وأعضاء بعض الحيوانات والحيات وغيرها، والطب الحديث يؤكد أن أغلب العقاقير الطبية ما هي إلا مستخلصات زيوت الأعشاب كما أن سُم الأفاعي والحيات يدخل في تركيبة بعض الأدوية، فضلا عن وجود بعض الحشرات التي تستخدم في بعض العمليات الجراحية كدودة العلق، وفي دراسة عراقية [26] توصلت إلى أن 86،7% من أفراد العينة وهم من الأطباء يؤكدون اعتماد الطب الحديث على الطب الشعبي في بداية نشأته وهي نسبة ليست بالقليلة وأن هذا الاعتماد يكمن في استخدام طرقه العلاجية التي تم تطويرها فيما بعد حتى تواكب العصر بالإضافة إلى استخدام الأعشاب والنباتات الطبية التي استخدمت قديما والتي عمل الطب الحديث على دراسة وتحليل مكوناتها مخبريا وجعلها كعقاقير طبية بالشكل الذي هي عليه الآن، غير أن إجابة العينة بهذه النسبة لا تعني إطلاقا أن الاعتماد كان بشكل كلي بل يؤكد أفراد العينة أن الاعتماد قد تم جزئيا فقط بنسبة 53،8% من إجابات العينة وهذا يدل على أن الطب الحديث قد أخذ من الطب الشعبي ما يفيد الصحة فقط.

**ب: ما الدور الذي يمكن أن يؤديه الطب الشعبي إلى جانب وجود الطب الحديث في الوقت الحالي وما المستقبل المتوقع منه؟**

اعتقد البعض من المهتمين بمجالات الطب والثقافة الصحية، وغيرهم من الشرائح الإجتماعية أن الطب الشعبي(Folk Médicine) سيواجه الانقراض أو الانحسار وذلك بسبب التقدم المذهل في التقانات الطبية الحديثة، والتطور الهائل الذي حدث في الطب العلمي، غير أن الواقع أثبت أن هذه الفكرة باتت خاطئة، فازداد الاهتمام ببدائل الطب الحديث وازداد الانتشار الكبير لثقافة الطب البديل الذي بدا يستحوذ على الاهتمام العام، والاهتمام الطبي، ففي التسعينات من القرن العشرين أصبح اعتراف عام بأن الطب البديل (Alternative Médicine) أضحى منافسا شديدا للطب الرسمي وازداد انتشار الطب الشعبي ولم ينقرض بتطوير الطب الحديث[27].

وإن ظهور الطب البديل وإزدياده المطرد على الرغم من المعاندين له والمستغلين، فإن له دلالة واضحة على أنه يندرج ضمن دورات العلم التي يحتاجها العالم والمجتمع الانساني مع مرور الزمن، فهذه دورة طبيعية للتطور الإنساني على مر العصر، ولا مبرر لمهاجمته من قبل البعض اتهامه جزافا بتهم هو برئ منها، بل ينبغي التعامل معه من منطق مصلحة المريض الذي لاينام الليل ولا يهنأ بالنهار، ويتداوى من طبيب إلى طبيب، ومن مستشفى إلى أخرى رغبة العافية دون جدوى، فلا نحرمه طرقا أخرى من العلاج قد يكون له فيها الشفاء والراحة والسعادة، فيعود فردا منتجا ناجحا في مجتمعه[28].

على الرغم من التقدم الحضاري والثقافي الذي تعيشه هذه الأيام فإننا لا نزال نواجه في المجال الصحي مشاكل لا حصر لها، فكانما هذا التقدم الحضاري المتمثل في العديد من المستشفيات الحديثة المجهزة بأحدث الوسائل يقابله تخلف معرفي من ناحية الوقاية السلبية لكثير من الأدوية على صحة الانسان.

وهكذا بدأ الناس في البحث عن أساليب علاجية طبيعية جديدة ليست لها هذه الآثار الجانبية الخطيرة، فلم يعد هناك بد من الرجوع إلى الطب البديل الأسلم لكثير من العلاجات الكيمياوية، وهروبا من مافيا شركات الأدوية التي لا يهمها سوى الربح المادي.

يحمل التطبيب الشعبي عناصر إيجابية تفيد في استخلاص المنطلقات، المعاصرة من الطب الحديث، وخاصة بايجاده اللغة الطبية الاجتماعية المشتركة بين الطبيب والمريض.

**خاتمة:**

انطلاقا مما تقدم يمكن القول أن الطب الشعبي والطب الحديث يمثلان في الوقت الحاضر طرفين مهمين في أرض الواقع في المجال الصحي والعلاجي فلكل منهما أهميته الاجتماعية وأسلوبه العلاجي وطرائقه التي يرتكز عليها ويتبعها في علاج الأمراض والإصابات.

وعليه نجد أن هناك **علاقة قوية ومتداخلة بين الطب الشعبي والطب الحديث** فيؤكد المعنيون بشؤون الطب الحديث أن معظم الأعشاب والنباتات تدخل طواعية في تركيب الأدوية الحديثة في الوقت الحاضر كما تكشف ابتكارات الصيادلة العرب أن أغلب الأدوية الكيمياوية والحبوب العلاجية تحتوي على خلاصة المواد الفعالة من النباتات فضلا عن اعتراف علماء الطب الحديث بفاعلية الطب التقليدي وتوجيه أو تحويل بعض الحالات المرضية المستعصية في المستشفيات الحديثة إلى المعالجين التقليديين الذين يثقون في قدراتهم ومهاراتهم العلاجية ولعل هذه الاكتشافات والاختراعات والاعترافات هي الدليل الثابت والواضح الذي يكشف عن الترابط والتداخل بين نوعي الطب في ميدان المعالجة والتطبيب.

❖ **هوامش البحث:**

(1) عبد الفتاح محمد المشهداني، **الطب الشعبي والطب العلمي دراسة وصفية تحليلية**، مجلة دراسات موصلية، العدد 34، سبتمبر 2011، ص 3.

(2) عبد الرزاق صالح محمود: **الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث**، (دراسة ميدانية في مدينة الموصل)، مجلة دراسات موصلية، العدد 18، تشرين الثاني 2007، ص127.

(3) المرجع السابق، ص127.

(4) عبد الفتاح محمد المشهداني: مرجع سبق ذكره، ص ص 4-5.

(5) لطرش أمينة: **الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقاربة انثروبولوجية بقسنطينة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، لسنة 2011/ 2012، ص 30.

(6) عبد الفتاح محمد المشهداني:مرجع سبق ذكره، ص 5.

(7) نخبة من أعضاء هيئة التدريس: إشراف محمد عباس إبراهيم، **الأنثربولوجيا مداخل وتطبيقات**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص 277.

(8) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص 5.

(9) عبد المجيد بوناب: **تجارة الدواء في الجزائر بين جهل المستهلكين وضمير المعنيين**، مجلة العلم والإيمان، العدد الخامس، مؤسسة المعالي للنشر والإعلام، الجزائر، 2007، ص ص 24-25.

(10) عبد الرزاق صالح محمود : **مرجع سبق ذكره**، ص 128.

(11) عبد الفتاح محمد المشهداني، **مرجع سبق ذكره**، ص 7.

(12) المرجع السابق، ص 7.

(13) المرجع السابق، ص ص7-8.

(14) عبد الرزاق صالح محمود : مرجع سبق ذكره، ص 128.

(15) ميلود سفاري، سعيدة شين: **العلاقة بين الطب الشعبي والطب الرسمي**، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة بسكرة، العدد 5 ، مارس، 2013، ص ص 195، 220.

(16) عبد الفتاح محمد المشهداني، مرجع سبق ذكره، ص ص 9-10.

(17) المرجع السابق، ص 10.

(18) المرجع السابق، ص 11.

(19) نخبة من أعضاء هيئة التدريس: مرجع سبق ذكره، ص ص219-222.

(20) محمد الجوهري: **علم الفلكلور دراسة المعتقدات الشعبية**، الجزء الثاني، مرجع سبق ذكره، ص ص43-47.

(21) المرجع السابق،ص ص81-82.

(22) محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص ص479-480.

(23) المرجع السابق، ص91.

(24) جوزية بن قيم: **الطب النبوي**، ط5، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 9.

(25) ميلود سفاري، سعيدة شين: مرجع سبق ذكره، ص ص 195، 220.

(26) المرجع السابق، ص ص 195، 220.

(27) عبد الفتاح محمد المشهداني، **مرجع سبق ذكره**، ص 11.

(28) المرجع السابق: ص ص 11-12.